

تفكيك سلطة المعنى وإعادة تشكيل النص

في الثقافة الرقمية نحو انطولوجيا جديدة للكتابة والتلقي

Deconstructing the Authority of Meaning and Reshaping the Text in Digital Culture:
Towards a New Ontology of Writing and Reception"

د/ وداد طيبي

جامعة البليدة 2 – الجزائر

w.taibi@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09	تاريخ القبول: 2026-05-24	تاريخ الإرسال: 2026-04-11
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى مساءلة التحولات العميقة التي مست بنية النص الأدبي في ظل الثقافة الرقمية، من خلال مقارنة تفكيكية تأويلية تروم الكشف عن آليات تفكيك سلطة المعنى وإعادة تشكيل النص بوصفه كيانا ديناميا مفتوحا وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الانتقال من الوسيط الورقي إلى الفضاء الرقمي لم يكن مجرد تحول تقني، بل مثل انقلابا أنطولوجيا أعاد تعريف ماهية الكتابة والتلقي، وزعزع مركزية المؤلف وسلطة الدلالة الأحادية.

تتقصى الدراسة مظاهر تفكك المرجعيات التقليدية للمعنى، مستندة إلى أطروحات نقدية حديثة (تفكيكية وتأويلية) لتبين كيف أضحي النص فضاء تعدديا تتقاطع داخله أصوات متعددة، ويتشكل عبر تفاعل مستمر بين الكاتب والقارئ والوسيط الرقمي، كما تقف عند تحولات البنية النصية الخطية إلى التشعب، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، بما يفضي إلى إعادة النظر في حدود النص ووظيفته.

الكلمات المفتاحية

تفكيك المعنى؛ الثقافة الرقمية؛ أنطولوجيا النص؛ التلقي؛ التأويل؛ النص التفاعلي.

Introductory Note:

The digital environment reveals a fundamental transformation in the nature of meaning within literary texts, shifting it from a stable, text-bound entity to an open, dynamic process shaped by interactions between the text, the reader, and technological mediation.

This shift generates both opportunities-such as expanded accessibility and cross-cultural circulation-and challenges, including semantic fragmentation and accelerated modes of consumption, situating meaning within a continuous tension between openness and dispersion.

Keywords:

Digital culture; Meaning; Semantic; Decentralization; Digital Text; Circulation; Deconstruction; Reader Interaction; Algorithmic Mediation.

مقدمة

لم يعد النص الأدبي في السياق المعاصر يقاس بثبات بنيته أو اكتمال دلالاته، بل أصبح يفهم بوصفه كيانا متحوّلا يتشكل داخل شبكة من التفاعلات الرقمية التي أعادت تعريف شروط الكتابة والقراءة معا، فقد أفرزت الثقافة الرقمية تحولا نوعيا في طبيعة الخطاب الأدبي، حيث انتقلت النصوص من فضاء الورق المحدود إلى فضاء تفاعلي مفتوح، تتداخل فيه الكتابة بالتلقي، والإنتاج بالاستهلاك، واللغة بالصورة والصوت.

هذا التحول لم يعد مجرد امتداد تقني، بل أصبح يعكس تنظيم عميق للعلاقة بين النص ومحيطه الثقافي، بحيث لم يعد المعنى ينتج داخل النص وحده، بل عبر حركة تداولية مستمرة داخل منصات النشر الرقمي. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الكتابة الأدبية الرقمية العربية، سواء في المدونات أو الصفحات الثقافية أو النصوص المنشورة على المنصات التفاعلية، حيث يصبح النص قابلا لإعادة التشكيل عبر التعليقات، والمشاركات وإعادة الكتابة الجزئية أو الكلية.

وفي هذا السياق، يلفت النقد العربي المعاصر الانتباه إلى هذه التحولات من زاوية مغايرة؛ إذ يشير سعيد يقطين إلى أن السرديات الرقمية لم تعد تخضع لمنطق الخطية التقليدية، بل لمنطق التشعب والتفاعل، في حين يذهب محمد برادة، إلى أن التحولات التقنية فرضت إعادة النظر في مفهوم النص ذاته باعتباره ممارسة ثقافية وليست بنية لغوية فقط، كما يمكن رصد هذا التحول في تجارب كتاب عرب معاصرين انفتحوا على أشكال هجينة من الكتابة تجمع بين السرد والتوثيق البصري، والتفاعل الفوري مع القارئ.

ومن هذا المنظور، لم تعد عملية انتاج النص الأدبي محكومة بالحدود التقليدية للفصل بين " المبدع " و " المتلقي "، بل أصبحت عملية تشاركية تتداخل فيها الأدوار بشكل معقد، حيث يسهم القارئ في إعادة تشكيل النص عبر التفاعل المباشر معه، فالنص الرقمي لا يكتمل في لحظة كتابته الأولى، بل يستمر في التشكل داخل فضاء التداول، مما يمنحه طابعاً دينامياً يجعل من المعنى عملية مفتوحة وليست نتيجة نهائية. وهكذا تتجلى أهمية الفضاءات الرقمية بوصفها بيئات انتاج جديدة للخطاب الأدبي، حيث لم يعد النص ينشر ليقرأ فقط، بل ليناقش ويعاد انتاجه وتعديله أحياناً، فالتعليقات والمشاركات، وإعادة الاقتباس، بل وحتى التفاعل اللحظي مع النص، كلها عناصر تسهم في إعادة بناء النص بشكل مستمر، بما يجعل من الكتابة الرقمية ممارسة اجتماعية وثقافية بامتياز، وليس مجرد فعل فردي منعزل.

وقد أتاح هذا التحول ظهور أنماط جديدة من الكتابة داخل الفضاء العربي، بحيث نجد أن العديد من النصوص السردية أو الشعرية القصيرة على المنصات الرقمية لم تعد مكتفية ببنيتها الأصلية، بل أصبحت تتغذى من ردود القراء وتفاعلاتهم، مما يؤدي إلى نوع من " التخصيص الجماعي " الذي تتوزع فيه سلطة الابداع بين أطراف متعددة، وهذا ما يجعل النص الرقمي أقرب إلى كونه حدثاً تواصلياً منه كونه أثراً مكتوباً.

ومن جهة أخرى، يطرح هذا الوضع إشكالات نقدية عميقة تتعلق بإعادة تعريف مفهوم النص ذاته، إذ لم يعد بالإمكان التعامل معه بوصفه بنية مغلقة ذات بداية ونهاية، بل بوصفه كياناً مفتوحاً على التحول المستمر، وهنا تبرز الحاجة إلى أدوات نقدية جديدة قادرة على استيعاب هذا الانفتاح، وتجاوز المقاربات التقليدية التي كانت تفرض استقرار النص وثبات حدوده.

وعليه، فإن الإشكال الحقيقي لا يمكن فقط في تغير وسائط الكتابة، بل في التحول العميق بين النص وفاعليه، بحيث أصبح النص في الثقافة الرقمية مجالاً للتفاعل المستمر وإعادة الإنتاج، وليس مجرد منتج

لغوي مكتمل، ومن هنا تبرز ضرورة مساءلة هذا التحول من زاوية انطولوجية، باعتبار أن ما يتغير ليس شكل النص فقط، بل " طريقة وجودة " داخل الثقافة المعاصرة.

وانطلاقاً من هذا التصور، تتجه هذه الدراسة، إلى تحليل الكيفية التي أسهمت بها الثقافة الرقمية في إعادة تشكيل النص الأدبي، عبر تفكيك سلطته الدلالية التقليدية، وإعادة بناء علاقته بكل من الكاتب والقارئ، بما يفتح أفقا تأويليا جديدا يعيد تعريف الكتابة والتلقي داخل الفضاء الرقمي. وانطلاقاً من هذا الوضع الجديد يطرح إشكالية عميقة تتجاوز مجرد التحول الواسطي، لتصل إلى مستوى إعادة التفكير في طبيعة النص ذاته: هل ما نشهده هو مجرد انتقال من وسيط ورقي إلى وسيط رقمي؟ أم أننا أمام إعادة تشكيل جذرية لمفهومي الكتابة والتلقي، بما يؤسس لأنطولوجيا جديدة للنص الأدبي، حيث يصبح النص حدثاً تواصلياً مستمراً بدل أن يكون بنية مغلقة مكتملة؟

وفي ضوء هذا التصور العام، تتجه الدراسة إلى تحليل الكيفية التي أسهمت بها الثقافة الرقمية في إعادة تشكيل النص الأدبي، عبر إعادة تنظيم علاقته بكل من الكاتب والقارئ داخل فضاء تفاعلي مفتوح، تتداخل فيه مستويات الإنتاج والتلقي بصورة متزامنة، كما تسعى إلى الكشف عن التحولات التي مست بنية النص ووظيفته داخل هذا السياق الجديد، بما يتيح مقارنة أوسع لطبيعة الكتابة والتلقي في العصر الرقمي، ويفتح أفقا تأويليا يعيد التفكير في موقع النص الأدبي داخل الثقافة المعاصرة.

1 - من مركزية المعنى إلى انزياحه في النظرية النقدية الحديثة:

لم يعد المعنى في النقد المعاصر يفهم بوصفه جوهرًا ثابتًا أو مضمونًا مستقرًا داخل النص. بل أصبح ينظر إليه باعتباره نتاجاً لعملية تأويلية متحركة تتشكل داخل فعل القراءة ذاته، ويعني هذا التحول أن النص لم يعد حاملاً لمعنى جاهز، بل فضاء تنتج فيه الدلالة عبر التفاعل بين عناصر متعددة: اللغة، القارئ، والسياق الثقافي. ومن هنا فإن مفهوم " الثبات الدلالي " الذي حكم النقد الكلاسيكي قد تعرض لاهتزاز عميق لصالح تصور جديد يقوم على الانفتاح والتعدد.

في هذا السياق، يشكل رولان بارت أحد أبرز الأصوات التي أعادت النظر في سلطة المؤلف داخل العملية النقدية، ففي مقاله الشهير "موت المؤلف" لا يدعو بارت إلى الغاء الكاتب كفاعل إبداعي، بل إلى تحرير النص من هيمنة المؤلف بوصفه المرجع الوحيد للتفسير، فالمعنى حسب هذا التصور لا يستمد من أصل انتاج النص، بل يتولد لحظة القراءة، حيث يصبح القارئ هو نقطة انتاج الدلالة لا مجرد متلق سلبي¹.

وهذا التحول يفهم نقدياً باعتباره انتقالاً من "نقد النية" إلى "نقد التفاعل" أي من البحث عما أراده المؤلف إلى ما ينتجه النص داخل كل قراءة جديدة؛ أما جاك دريدا، فيذهب أبعد من ذلك حين يزعم فكرة "المعنى النهائي" نفسها، فالمعنى وفق تصوره لا يستقر داخل العلامة اللغوية، لأن كل علامة لا تحيل إلى معنى حاضر ومكتمل، بل إلى علامات أخرى داخل شبكة لا نهائية من الاحالات. وهذا ما يسميه بمفهوم الاختلاف/الارجاء (différance) الذي يعني أن المعنى دائم التأجيل ولا يدرك كحضور نهائي، بل كأثر يتشكل عبر الزمن والقراءة²، هو لا يغير فقط طريقة قراءة النص، بل يعيد تعريف "ماهية المعنى" ذاته بحيث يصبح غير قابل للإغلاق.

وفي محاولة أخرى يقدم أمبرتو إيكو مفهوم "النص المفتوح" الذي يرى فيه أن النص يسمح بتعدد القراءات، لكنه ليس بلا حدود. فالنص في نظره يوجه القارئ داخل إمكانات تأويلية محددة، دون أن يسمح بانفلات كامل من بنيته الداخلية³، وهذا التوازن مهم نقدياً، لأنه يمنع التحول من تعددية المعنى إلى فوضى التأويل، ويعيد ربط الحرية القرائية ببنية النص نفسها.

وإذا انتقلنا إلى السياق العربي، نجد أن هذه التحولات لم تستقبل بوصفها نظريات مستوردة فقط، بل أعيد إنتاجها داخل أسئلة النقد العربي الحديث، إذ يذهب سعيد يقطين في اشتغاله على السرديات الرقمية إلى أن النص لم يعد بنية خطية مغلقة، بل أصبح بنية تشعبية تتأسس على التفاعل. وهذا يعني أن القراءة لم تعد فعل استهلاك، بل مشاركة في انتاج البنية السردية نفسها، خاصة في ظل الوسائط الرقمية التي تسمح بالتفاعل المباشر مع النص⁴، وهنا تصبح فكرة "القارئ" جزءاً من "بنية النص" لا خارجه.

¹- Roland Barthes, « La mort de l'auteur », Manteia, 1968.

²- Jacques Derrida, de la grammatologie, Paris, Minuit, 1967.

³- Umberto Eco, The Open Work, Harvard University press, 1989.

⁴- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط 1/ 2005.

كما يقدم عبد الفتاح كيليطو قراءة مختلفة للنص العربي، إذ يكشف أن النصوص التراثية العربية لم تكن أحادية المعنى كما يعتقد، بل كانت تنفتح على تعدد في القراءة والتأويل بسبب طبيعتها الحكاياتية وتداخل مستويات السرد فيها، ومن ثم فإن تعدد المعنى ليس وافداً جديداً بالكامل، بل له جذور داخل التجربة النصية العربية نفسها⁵، وهذا الطرح مهم لأنه يعيد الاعتبار للتراث العربي بوصفه حقلاً تأويلياً مفتوحاً، ليس له معنى واحد ثابت ونهائي يسمح بتعدد القراءات وتوليد معانٍ مختلفة، لا مجرد نصوص مغلقة.

ومن خلال هذا التراكم النظري، يتضح أن التحول في مفهوم المعنى لم يكن مجرد تعديل في أدوات القراءة، بل إعادة تشكيل لفكرة النص ذاتها فالنص لم يعد بنية مستقرة تنتج معنى واحداً، بل أصبح كياناً دينامياً يعاد إنتاجه مع كل قراءة جديدة، داخل سياق ثقافي وتاريخي متغير.

(2- النص الرقمي وإعادة تشكّل البنية السردية بين التشظي والتفاعل:

يمثل النص الرقمي أحد أهم التحولات التي أعادت صياغة مفهوم البنية السردية في الأدب المعاصر، حيث لم يعد النص يبني وفق منطق الخطية التقليدية (بداية / وسط / نهاية) بل وفق منطق التشعب والتداخل والروابط المتعددة. هذا التحول لا يتعلق فقط بشكل العرض، بل يمس جوهر النص نفسه بوصفه بنية دلالية قابلة لإعادة التشكيل المستمر يقول سعيد يقطين " أن النص في صيغته الرقمية لم يعد نصاً مغلقاً، بل أصبح نصاً مترابطاً يقوم على التفاعل بين عناصر متعددة، حيث لا يقتصر الفعل الإبداعي على الكاتب فقط، بل يمتد ليشمل الوسيط التقني والقارئ في آن واحد"⁶، ويعني ذلك أن النص لم يعد يُنتج مرة واحدة ونهائياً، بل يعاد إنتاجه داخل كل عملية قراءة أو تفاعل.

ويقصد يقطين، أن الوسيط الرقمي (الحاسوب / المنصة) لم يعد مجرد حامل للنص، بل أصبح جزءاً من آلية إنتاجه فالنص، التشعبي (Hypertext) يتيح للقارئ الانتقال بين وحدات نصية متعددة، مما يغير طبيعة التلقي من خطي إلى شبكي، ومن سلبي إلى تفاعلي.

⁵ - عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغرابية، دار توبقال الدار البيضاء

⁶ - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، (م س)

وهذا التصور يعيد تعريف مفهوم النص الأدبي نفسه، لأنه ينقله من كونه بناءً مكتملاً إلى كونه عملية مفتوحة، غير أن هذا الانفتاح يطرح إشكالا نقدياً مهماً يتعلق بحدود النص: هل يمكن الحديث عن وحدة نصية في ظل هذا التشظي المستمر؟

من جهة أخرى يمكن ملاحظة أن التحول الرقمي لم يؤثر فقط في بنية النص، بل في طبيعة العلاقة بين النص والمتلقي، فالقارئ في الفضاء الرقمي لم يعد متلقياً سلبياً، بل أصبح فاعلاً يشارك في إعادة تشكيل النص عبر التعليق، وإعادة النشر، والتعديل أحياناً، وهو ما يجعل التلقي جزءاً من عملية الإنتاج، ومن جهة أخرى، يذهب جورج لاندو، في دراساته حول النص التشعبي إلى أن الانتقال إلى "التشعبي" ألغى مركزية الخط السردى الواحد، لصالح بنية شبكية تسمح بالتنقل بين وحدات نصية متعددة، مما يغير طبيعة القراءة من خطية إلى تفاعلية*⁷.

وفي المقابل، يقدم أمبرتو إيكو تصوراً يوازن بين الانفتاح والضبط، حيث يرى أن النصوص الحديثة تولد "تعدداً تأويلياً منظماً" أي أن القارئ يشارك في إنتاج المعنى، لكن ضمن حدود يفرضها البناء الداخلي للنص*⁸، بمعنى الحرية التأويلية ليست فوضى، بل حركة مضبوطة داخل إمكانات النص.

ويبرز عبد الله الغدامي من خلال اشتغاله على النقد الثقافي، بوصفه أحد أبرز من أعادوا التفكير في النص باعتباره بنية ثقافية لا لغوية فقط، حيث لم يعد النص مجرد خطاب جمالي، بل حاملاً لأنساق ثقافية مضمرة تعاد قراءتها داخل سياقات اجتماعية متغيرة*⁹، وهذا المعتقد يجعل النص مجالاً للكشف عن البنية لا مجرد تحليل شكله الفني؛ كما يضيف محمد برادة أن النص الحديث لم "يعد يفهم خارج شروط إنتاجه الثقافية والتاريخية، بل داخل شبكة من العلاقات التي تحدد معناه ووظيفته داخل المجتمع الأدبي"¹⁰، أي أن النص عنده، لا يقرأ بمعزل عن سياقه، بل بوصفه ممارسة ثقافية.

⁷ - George P. Landow, Hypertext2.0 : The Convergence of Contemporary Critical Theory and Technology, Baltimore: Johns Hopkinsity Press, 1977.

⁸ - Umberto Eco, The Role Of The Reader: Exploration in the Semiotics of Texts, Bloomington: Indiana University Press, 1979.

⁹ - الغدامي عبد الله، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية . الدار البيضاء المركز الثقافي العربي 2000.

¹⁰ - محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991 .

وفي امتداد هذا التصور، يوضح سعيد بنكراد في مقارباته السيميائية أن النص المعاصر يتشكل داخل منظومة من العلامات المتعددة التي تتجاوز اللغة المكتوبة لتشمل الصورة والوسائط البصرية، مما يعزز فكرة التعدد الدلالي داخل الفضاء الرقمي*¹¹، فالنص عنده لم يعد لغويا فقط بل أصبح متعدد الوسائط.

وانطلاقا مما سبق، يمكن القول أن النص الرقمي لم يعد كيانا ثابتا، بل أصبح بنية ديناميكية تتشكل عبر التفاعل بين النص والقارئ والوسيط التقني، غير أن هذا التحول لا يعني انهيار مفهوم النص، بل إعادة تنظيمه داخل فضاء جديد يقوم على التنشيط المنضبط والتعدد الموجه.

3- تفكك سلطة الكتابة وإعادة توزيع الفعل الإبداعي في الفضاء الرقمي:

يمثل التحول الرقمي في الثقافة المعاصرة منعطفًا جذريا لا يقتصر على تغيير شكل النصوص أو طرق تداولها، بل يتجاوز ذلك إلى إعادة مساءلة البنية العميقة التي تحكم فعل الكتابة نفسه، فإذا كان التصور التقليدي يقوم على مركزية المؤلف بوصفه المصدر الوحيد للإنتاج النصي، فإن الفضاء الرقمي قد أحدث تفككا تدريجيا لهذه المركزية، وأعاد توزيع السلطة الإبداعية بين أطراف متعددة تتداخل فيها الذات البشرية مع الوسائط التقنية.

في هذا الإطار، لم تعد الكتابة تفهم باعتبارها فعلا فرديا مغلقا، بل بوصفها سيرورة إنتاجية تشاركية تتداخل فيها مستويات متعددة: الكاتب، القارئ، المنصة الرقمية، والخوارزميات التي تتحكم في ترتيب المحتوى وتوجيه ظهوره. هذا التحول يعني أن الفعل الكتابي لم يعد محصورا داخل ذات منتجة واحدة، بل أصبح موزعا داخل شبكة من الفاعلين المتداخلين. ومن هذا المنظور، يذهب هنري جنكينز إلى أن الثقافة الرقمية المعاصرة تقوم على منطق "التشارك"، حيث تتداخل أدوار الإنتاج والتلقي داخل فضاء واحد بحيث لم يعد هناك فصل صارم بين من يكتب ومن يقرأ. غير أن الأهم في هذا التصور هو انهيار فكرة "المؤلف المركزي" لصالح نموذج انتاجي شبكي تتوزع فيه السلطة النصية*¹²، فلم تعد الكتابة ملكية فردية، بل عملية إنتاج موزعة بين أطراف متعددة داخل بيئة تفاعلية.

ويقدم بيار ليفي، مفهوم "الذكاء الجماعي" بوصفه شكلا جديدا لتنظيم المعرفة داخل الفضاء الرقمي، حيث تتوزع الخبرات والمعارف بين الأفراد في شبكة مفتوحة من التفاعل المستمر غير أن ما يميز هذا

¹¹- سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيم وتطبيقات، الدار البيضاء. دار الحوار، 2003.

¹²- Henry Jenkins, Convergence Culture :Where Old and New Media Collide, New York: NYU Press, 2006.

التصور هو أن المعرفة نفسها لم تعد تنتج من مركز واحد، بل من تفاعل جماعي مستمر يعيد تشكيلها في كل لحظة*¹³ فالكتابة من هذا المنظور، ليست تعبيراً عن معرفة فردية، بل جزء من منظومة معرفية موزعة. ومن زاوية أخرى، يمكن فهم هذا التحول بوصفه انتقالاً من سلطة النص إلى تفكك السلطة النصية، حيث لم يعد الكاتب يمتلك السيطرة الكاملة على ما ينتجه النص من دلالات، لأن النص نفسه يدخل في دائرة إعادة التفسير والتعديل والتداول المستمر عبر الوسائط الرقمية. وهذا ما يجعل الفعل الكتابي غير قابل للإغلاق النهائي.

وفي السياق السيميائي، يوضح سعيد بنكراد: " أن العلامة في العصر الرقمي لم تعد مستقرة داخل نظام لغوي مغلق، بل أصبحت جزءاً من منظومة متعددة الوسائط تشمل الصورة والصوت والكتابة الرقمية، وهو ما يؤدي إلى إعادة تشكيل آليات انتاج المعنى داخل النصوص المعاصرة"¹⁴، فالكتابة لم تعد بنية لغوية فحسب بل نظام علامات متعدد ومتداخل. ويمكن ملاحظة الوسيط الرقمي نفسه أصبح فاعلاً غير بشري داخل عملية الكتابة، إذ لا يقتصر دوره على النقل أو العرض، بل يتدخل في ترتيب المحتوى، واقتراحه، وتوجيه انتشاره عبر الخوارزميات. وهذا يعني أن الفعل الكتابي لم يعد إنسانياً صرفاً، بل أصبح هجيناً يجمع بين الإنسان والتقنية.

وبهذا نقول: إن الفضاء الرقمي قد أعاد تعريف الكتابة باعتبارها فعلاً غير مستقر، يتشكل داخل شبكة من العلاقات المتداخلة بين الإنسان والتقنية والمجتمع، ولم تعد الكتابة مجرد انتاج لغوي، بل أصبحت ممارسة موزعة للسلطة والمعنى، حيث يتفكك المركز لصالح شبكة مفتوحة من الفاعلين. وبهذا المعنى، فغن التحول الرقمي لا يعيد فقط تشكيل النص، بل تأسيس مفهوم الكتابة نفسه بوصفه فعلاً وجودياً مشتركاً لا يمكن حصره في ذات واحدة.

(4- انفلات المعنى وإعادة تشكل مساراته التداولية في الفضاء الرقمي:

¹³-Pierre Lévy, Collective Intelligence : Mankind's Emerging World in Cyberspace, Cambridge: Perseus Books, 1997.

¹⁴-سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيم وتطبيقات (م س) .

يمثل المعنى في الفضاء الرقمي بنية غير مستقرة تتحدد داخل حركة مستمرة من التفاعل والتداول، حيث لم يعد قابلاً للاحتواء داخل اطار نصي مغلق أو مركز دلالي ثابت، فالمعنى في هذا السياق لم يعد يفهم بوصفه أثراً ناتجاً عن تفاعل متشابك بين النص والقارئ والوسيط التقني وسياقات النشر والتلقي، وبهذا الانتقال يتحول السؤال النقدي من المبحث عن " موقع المعنى " إلى مسألة " كيفية تشكله " أي الشروط التي تسمح بظهوره واستمراره وتحوله داخل الفضاء الرقمي، فكل قراءة، وكل تعليق، وكل عملية إعادة نشر أو اقتباس، لا تعيد استهلاك النص، بل تعيد انتاجه دلالياً، بما يجعل المعنى سيرورة مفتوحة لا تنتهي عند لحظة انتاج واحدة.

ومن جهة أخرى، فإن ما يميز هذا الأمر هو انتقال المعنى من منطق المركز إلى منطق الشبكة، حيث لم يعد مرتبطاً ببنية واحدة تحكمه، بل أصبح موزعاً مسارات متعددة تتقاطع داخل الفضاء الرقمي، وهذه المسارات لا تخضع للفوضى المطلقة، بل تعمل وفق دينامية معقدة تتداخل فيها عوامل ثقافي، وتقنية وتداولية، من بينها طبيعة المنصات، وآليات التفاعل، والخوارزميات التي تتحكم في الانتشار والتوجيه.

وفي هذا الإطار، يصبح الوسيط الرقمي عنصراً فاعلاً في انتاج الدلالة، لا مجرد أداة لنقلها فهو يشارك في إعادة ترتيب ظهور النصوص، مما يجعل عملية انتاج المعنى عملية مركبة تتداخل فيها الفاعلية الإنسانية مع البنية التقنية، ويترتب ن ذلك تحوّل عميق في طبيعة العلاقة بين النص والمعنى، إذ لم يعد النص هو الحامل الوحيد للدلالة، بل أصبح جزءاً من شبكة انتاجها.

وبذلك ينتقل المعنى من كونه خاصية نصية ثابتة إلى كونه نتيجة تداولية متحركة، تتحدد داخل الزمن الرقمي وليس خارجه، ومن هذا المنظور يمكن فهم هذا التحول بوصفه انتقالاً من " ثبات المعنى " إلى " سيولته التداولية "، حيث يصبح المعنى أقرب إلى التدفق منه إلى الاستقرار، وأقرب إلى المسار منه إلى الجوهر، دون أن يعني ذلك انهياراً دلالياً، بل إعادة تنظيم داخل بنية شبكية مفتوحة.

وفي مستوى أعمق، يفرض هذا التحول مسألة الأدوات النقدية التي اشتغلت تاريخياً داخل نموذج النص المغلق. فالمناهج البنيوية، رغم قدرتها على تحليل البنية الداخلية، ظلت مرتبطة بفكرة النص المستقر في حين أن الواقع الرقمي يقوم على الانفتاح والتغير المستمر. كما أن نظريات التلقي، رغم إدخالها للقارئ كفاعل، لم تتوقع تحوله إلى طرف يشارك مادياً في إعادة انتاج النص داخل فضاءات التفاعل الرقمي.

وهنا لا يتعلق الأمر برفض النقد التقليدي، بل بإعادة تحديد حدوده ووظائفه، حيث لم يعد النقد معنيا بإنتاج قراءة نهائية أو تفسير مغلق، بل برصد حركة المعنى أثناء تشكله وتتبع تحوله داخل مسارات التداول، أي أن النقد يتحول من ممارسة تفسيرية ثابتة إلى ممارسة وصفية _ تحليلية لحركة الدلالة؛ ومن ثم، فإن الاشكال النقدي لم يعد يتمثل في " كيف نفهم النص؟"، بل في " كيف يعمل المعنى داخل بيئة لا تستقر فيها النصوص ولا القراءات؟"، وهو ما يفرض انتقالا نحو مقاربات أكثر مرونة، قادرة على استيعاب السيولة بدل مقاومتها.

ويتضح في الأخير: أن المعنى في الفضاء الرقمي لم يعد كيانا يمكن تثبيته داخل بنية نصية بل أصبح مسارا تداوليا يتشكل باستمرار داخل شبكة من العلاقات التفاعلية. وبهذا يتحول التحليل النقدي من البحث عن المعنى النهائي إلى دراسة شروط انتاجه وتحولاته، مما يعيد تعريف العلاقة بين النص والقارئ والوسيط داخل الثقافة الرقمية.

5- النتائج والتطبيقات البحثية:

أ) - النتائج النظرية:

* تكشف هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج المفاهيمية التي تعيد ضبط فهم العلاقة بين النص والمعنى في السياق الرقمي، ويمكن تحديدها كما يلي:

1- تحديد إعادة طبيعة المعنى بوصفه بنية غير مستقرة قابلة للتشكل:

أثبت التحليل أن المعنى لم يعد يفهم كمعطى نصي سابق على القراءة، بل كبنية لاحقة تتحدد داخل فعل التداول نفسه، بما يجعل الدلالة نتيجة " اشتغال " وليست " وجودا ثابتا ".

2 - انتقال مركز انتاج الدلالة من النص إلى الشبكة التداولية:

لم يعد النص هو الوحدة المهيمنة في انتاج المعنى، بل أصبح جزءا من شبكة أوسع تضم التفاعل القرائي والوسيط الرقمي وكذلك آليات النشر، مما أدى إلى تراجع مركزية النص لصالح البنية الشبكية.

3 - تحول الفعل الكتابي إلى ممارسة غير مكتملة " (open_ended practice) بينت الدراسة

ان الكتابة لم تعد فعلا منجزا، بل سيرورة قابلة لإعادة التعديل والتوسيع عبر إعادة النشر، الاقتباس، والتفاعل، مما يغير من طبيعتها الأنطولوجية بوصفها " حدثا مفتوحا ".

4 - إعادة تعريف وظيفة القارئ بوصفه فاعلا تداوليا لا تأوليا فقط:

لم يعد القارئ يشغل داخل حدود التأويل، بل أصبح يدخل في إنتاج المعنى عبر التفاعل المادي مع النص (تعليق/ مشاركة/ إعادة صياغة)، ما يجعل القراءة جزءا من الإنتاج لا مجرد تفسير لها.

5 - ظهور فاعل غير بشري في إنتاج الدلالة (الوسيط الخوارزمي):

أثبتت الدراسة أن الخوارزميات والمنصات الرقمية لم تعد محايدة بل أصبحت عناصر فاعلة في توجيه المعنى عبر تحكم في الظهور، الترتيب، الانتشار.

ب- النتائج التطبيقية:

1- تحليل النصوص الرقمية بوصفها شبكات تداولية

تستدعي النتائج تجاوز تحليل البنية النصية نحو دراسة الشبكات التي ينتج داخلها المعنى.

2- دراسة تأثير المنصات والخوارزميات على الخطاب الأدبي:

يمكن تطبيق هذا التصور على فهم دور المنصات الرقمية في توجيه التلقي وإعادة تشكيل الدلالة.

3- إعادة قراءة النصوص الأدبية في سياق رقمي:

تتيح النتائج إعادة تفسير النصوص الكلاسيكية والمعاصرة في ضوء منطق التداول الرقمي.

4 - تطوير أدوات نقدية جديدة

تفرض الدراسة الانتقال من النقد البنيوي إلى نقد دينامية المعنى وتحولاته داخل الفضاء الشبكي.

(6) - خلاصة البحث

يتبين من خلال تحليل التحولات الرقمية في انتاج المعنى أن الفضاء الرقمي لم يحدث فقط تفككا في البنية التقليدية للنص، بل أعاد تشكيل شروط اشتغال المعنى داخل شبكة تداولية مفتوحة، فالمعنى لم يعد يبنى داخل حدود نصية مغلقة، بل أصبح يتشكل عبر تفاعل معقد بين النص، والقارئ والوسيط التقني، والخوارزميات التي تتحكم في آليات الانتشار والتوجيه.

من جهة أولى يتيح هذا التحول إمكانات إيجابية واسعة، من أبرزها: انفتاح النص الأدبي على فضاء عالمي متعدد اللغات والثقافات، حيث لم يعد النص محصورا داخل سياق جغرافي أو لغوي ضيق، بل أصبح قابلا للتداول العابر للحدود. كما أسهمت البيئة الرقمية في توسيع دائرة التلقي والمشاركة، مما جعل النص الأدبي أكثر دينامية، وأكثر ارتباطا بالتفاعل المباشر مع القراء، وهو ما يعزز حضور الأدب داخل الحياة اليومية بدل احصاره في الفضاء الأكاديمي أو النخبوي.

كما أن هذا الانفتاح أتاح إمكانات جديدة في لإعادة قراءة النصوص وتعدد تأويلاتها، بحيث لم يعد المعنى نهائيا أو مغلقا بل أصبح قابلا للتجدد عبر سياقات القراءة المختلفة، وهو ما يمنح النص الأدبي حياة ثانية داخل الفضاء الرقمي.

غير أن هذا التحول نفسه يطرح في المقابل مجموعة من الإشكالات إذ يؤدي الانفتاح الشديد إلى تشتت المعنى وتعدد مساراته بشكل قد يضعف إمكانية ضبطه نقديا، كما أن تدخل الوسيط الخوارزمي في توجيه انتشار يجعل المعنى خاضعا لمنطق تقني لا يخضع دائما للمعايير الجمالية أو النقدية، إضافة إلى ذلك: فإن سرعة التداول الرقمي قد تؤدي أحيانا إلى استهلاك سريع للنصوص دون تعمق في قراءتها.

وعليه، فإن الفضاء الرقمي لا يمكن النظر إليه بوصفه فضاء إيجابيا صرفا أو سلبيا صرفا، بل بوصفه بنية مزدوجة التأثير: فهو من جهة يحرر النص والمعنى من المركزية والانغلاق، ومن جهة أخرى يعيد انتاج تحديات جديدة تتعلق بالضبط النقدي، واستقرار الدلالة وآليات التلقي.

وبناء على ذلك تخلص الدراسة، إلى أن المعنى في الثقافة الرقمية أصبح بنية مفتوحة قابل للتشكل المستمر تتأرجح بين الانفتاح الإبداعي والتشتت التداولي، مما يفرض على النقد الأدبي إعادة التفكير في أدواته بما يسمح له باستيعاب هذا التوازن بين الإمكانات والحدود.

